



رحلتني إلى دار الحساب

الإيمان باليوم الآخر

د. عزة رمضان

وقفت الأم وابنتها يعدّان مشروباً سافناً في المطبخ، بعد يوم
طويل قضته البنت بجوار صديقتها وجارتها التي توفي والدها صباح
اليوم، إثر حادث أليم. وفي وسط الصمت الذي يسود المكان
فاجأت البنت أمها بسؤال، ونبرة صوتها تحمل الكثير من الفزع:
البنت: أمي لماذا يموت من نحبهم ويتركوننا؟
الأم: وهل هناك أمد لن يموت؟ يا بنيّتي كلنا سنموت، والله
ومره هو الذي يمدد موعداً لكل واحد فإنا يكون به نهاية حياتنا
في هذه الدنيا. لأن هذا الأمد مقدّر علينا من البداية. الحياة
معناها واسع يشمل الدنيا التي هي بمثابة امتحان لفترة قصيرة
ثم تأتي الحياة الآخرة التي فيها الفلور والنعيم والموت هو
الفصل بينهما.



البنات: لكنني أشعر باشتياق إلى جدّي وجدتي؛ فقد كانوا يكون لي حكايات مسلية ومضحكة، وبالتأكيد ستشعر صديقتي بافتقار أبيها الذي مات اليوم، فقد كان غنونا عليها وعلى أفواتها وأمها.

الأم: نعم يا بنيتي نشأت كثيرًا لمن ماتوا وخاصة من نهبوم بشدة، لكننا إرادة الله وسنته في خلقه. البنات: وماذا يحدث لوهم بعد ذلك؟

الأم: هم الآن في مرحلة تسمى البرزخ؛ وهي تبدأ من بعد الموت وتستمر إلى يوم القيامة التي فيها البعث والمشرق والمغرب. فالإنسان يمر بعد ولادته بعدة مراحل: الحياة الدنيا ثم يأتي الموت ثم حياة البرزخ في القبر ثم يكون البعث لكل الفلق يوم القيامة.

البنات: ولماذا كل هذا؟

الأم: الدنيا أشبه بمسرح كبير عليه أشخاص كثيرون مقتطفون، بعضهم يفعل الخير والبعض الآخر شرير يمارس هذا الخير ولا يريد له البقاء، بعضهم يفرم الناس والبعض الآخر يظلمهم.

ولما كانت هذه الدنيا ليست برار جزاء كان لا بد من يوم يجمع فيه الناس لينالوا الجزاء على ما فعلوا، خاصة أننا نرى بعض الناس لا ينالهم كل الجزاء الذي يستحقونه في الدنيا. سأحكي لك حكاية تقربك من هذا المعنى.



كان هناك مجموعة من الشباب يلبسون على أمر جانبي الطريق، يمزون ويتضامكون، وكانوا يؤذون المارة؛ ليضاموا عليهم، وقد رأى شاب منهم سيدة عجوز مقبلة تحمل الطعام والماء، فومس لأصابعه بشئ، ثم قام ينتظرها في عرض الطريق؛ لأنه قال لوم: إنه سيفضلكم على هذه المرأة، فانتظرها حتى مرت، ثم وضع إحدى يديه على كتفها، ودفعها بقوة فوقعت ووقع الطعام الذي معها على الأرض ووعاء المال كذلك وقع وانكسر وسال منه الماء. لقد ضاع الطعام الذي تعبت في إعداده لزوجها وعمله إليه بسبب شاب مستهتر وهي لا تملك القوة لدفع الأذى عن نفسها، فماذا فعلت هذه السيدة؟ لقد رفعت رأسها تنظر إلى هذا الشاب الذي ظلمها، وقالت: يا غار، ويل لك من يوم يقتصم الله فيه للمظلوم من الظالم. لقد استعانت عليه بالقوي الذي لا يُهزم، والغالب الذي لا يُغلب، وهو على كل شيء قدير، فهي على ثقة بأن الله العدل سيردُّ إليها حقها، إن لم يكن ذلك في المياة الدنيا ففي يوم القيامة، اليوم الأفر بعد فناء الدنيا وذهابها، يقي الله جميع الفلق، ويماسب كل إنسان على ما فعله؛ فهي تؤمن بأن هناك يوماً آخر، سيماسب الله فيه الناس على أعمالهم؛ كما قال الله تعالى في سورة الزلزلة: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيُنَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)»

هذه المادئة وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أيد النبي صلى الله عليه وسلم كلام العجوز حين حكى له سيرنا بعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قصتها، وقال صلى الله عليه وسلم: «كيف يقدرُ الله أمةً لا يُؤفد لضعيفها من شريدها حقه؟». فتفيلبي معي يا بنيتي أنه ليس هناك يوماً للمساب والجزاء!؟





البنات: نعم يا أمي لقد أفبرتنا معلمة الدين في المدرسة أنه يجب أن نؤمن باليوم الآخر لأنه واحد من أركان الإيمان الستة وهي: الإيمان بالله تعالى بأنه لا إله إلا هو سبحانه، والإيمان بالملائكة أي الإيمان بوجودهم وبأنهم من نور، والإيمان بالكتب

السموية بأنها منزلة من الله على رسله، والإيمان بالرسول بأن الله أرسلهم لهداية البشر، والإيمان باليوم الآخر أي الإيمان بما يكون بعد الموت من حياة القبر، وما سيكون يوم الحساب من بعث ونشور وحساب، وأخيرًا الإيمان بالقضاء والقدر بغيره وشيئه بأنه كله بتقدير الله عز وجل، كما جاء ذلك في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ قَيْرِهِ وَشَيْئِهِ»
وقالت المعلمة أيضًا: إن من عرف الله العدل العليم الحكيم آمن باليوم الآخر.



الأم: صبيح يا بني، لأنه من العيب أن يفلق الله هذا الكون كله بأرضه وسماؤه ومفلوقاته، بدون كلمة أو غاية، ولما كنا نرى الناس يموتون فلا بد من دار أفرى تظهر فيها كلمة الله من فلقه وعذله والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (المؤمنون ١١٦، ١١٥).

ومعنى الإيمان باليوم الآفر: هو التصديق واليقين بمرث كل ما أفر به الله - عز وجل - في كتابه العزيز، وكل ما أشبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأمور التي ستكون بعد الموت. والإيمان لا يصح إلا بالإيمان بيوم القيامة، ومما يدل على ذلك ذكره مع الإيمان في (١٩) موضعاً في القرآن الكريم. قال الله تعالى لِمَا آمَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا { وقال تعالى أيضا: «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا نُنزِلُ إِلَيْكَ وَمَا نُنزِلُ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».



ومن فضل الله علينا أنه لم يترك الناس ومرهم في هذه الدنيا بل أعطاهم عقولاً بها يفهمون، وأرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً ليعرفوا مراد الله من خلقهم. ومن ذلك أنه سبحانه وتعالى يرشدنا إلى أفضل الطرق التي نصل بها إلى معرفته سبحانه، كما جاء في قوله تعالى: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (البقرة ٤٥).

وكما أنه فزنا من بعض الأعمال التي تدرل صابها النار مثل: «وَمَنْ يَثُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» (النساء ٩٣). هناك أعمال أخرى مبيها فيها وبشرنا بها مثل ما جاء في المديث الشريف: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». وقول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣]. فالإيمان بهذا اليوم كما تدين مرتباً بوجود الله - عز وجل، كما أنه مرتباً بالإيمان بأسمائه المسنى وصفاته العلى، فمن آمن بالله سيؤمن بكل ما جاء في كتابه، وقد أفبر الله - عز وجل - في كتابه أنه لا بد من يوم يُبعث في الناس لياسبهم على أعمالهم.

البنة؛ لكن يا أمي لماذا ينكر بعض الناس البعث والقيامة؟

الأم: نعم يا بنيتي في كل زمان هناك من ينكرون الآفرة بكل ما فيها ويقولون أننا نعيش في الدنيا فقط ومن المستحيل عندهم أن يكون هناك بعث ومساب وحية أخرى، ونسي هؤلاء أن الإله القادر على بدء الفلق، لن يعجزه أبداً إعاة الفلق، لأن الإعاة أهون وأسهل من البدء. فالسماوات والأرض من أعظم المفلوقات، ومن قدر على فلق الأعظم فهو على غيره أقدر. وكما قلت لك منذ قليل إن الله - عز وجل - هو أعدل العادلين، وأن عدله يقتضي أن يأخذ كل ذي حق حقه، وبما أن بعض البشر قد يدركهم الموت قبل أن يستوفوا حقوقهم كاملة، فلا بد من مساب وجزاء عادل حتى لا يندم المؤمن على فير فعله ولا يفرح الظالم بظلمه.

لقد أفبرنا الله عز وجل بأنه سيمبع الفلائق كلها يوم القيامة: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء ٨٧).



أيضاً يعلمنا أن الإيمان الحقيقي والبر المطلوب
مننا هو الإيمان بآركانه وشعبه كما ورد في هذه
الآية الكريمة: « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ »
البقرة: ١٧٧.

البنات: لكن المعلمة أفبرتني أنا وزملائي أن يوم القيامة يوم صعب وعظيم على كل الناس حتى على المؤمنين وأنه يوم مليء بالأهوال،
وقرأت علينا بعض الآيات من المصنف التي تبين ذلك: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تُدْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (الجم ١٠٢)، ثم قامت
بتفسيرها لنا.



الأم؛ فعلا يا هيبتي يوم القيامة كما قلت لك ليس مرحلة واحدة ولا موقفاً واحداً بل فيه مراحل ومواقف يبدأ هذا اليوم بالبعث ويكون بإفراج الناس أحياناً من قبورهم، وإرسالهم إلى موقف المشر، وهذا البعث يكون بنفقتان: الأولى نفقة الفزع والتي يكون بها إماتة الأحياء جميعاً، والثانية نفقة البعث والتي يُبعث الناس بها من قبورهم، ثم بعد البعث تقوم الفلائق إلى أرض الممشر، فيقومون بها قياماً طويلاً، يصمبه خوفٌ شديدٌ، فيشفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للفلائق بتعجيل مسابوهم، ثم تبدأ مرحلة عرض الفلائق على ربهم، فتطير الصف فيأخذ أهل اليمين كتابهم بيمينهم وأصحاب الشمال كتابهم بشمالهم، فيقرؤون كتبهم، ويبدأ المساب لقيام البعة عليهم. بعد العرض والمساب تبدأ مرحلة وزن الأعمال، ثم مرحلة الصراط، والصراط عبارة عن جسر ممدود على متن جهنم يردّه الأولون والآفرن، كما أنه طريق أهل الإيمان والممشر لدفول البنية، قال تعالى: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» (مريم ٧١)، وبعده إما إلى البنية وإما إلى النار.

البنية: لكني يا أمي أشف من ذكر النار وعذابها، لماذا يريد الله أن يعذبنا بها؟
الأم: هيبتي لقد ذكر الله النار في القرآن الكريم أكثر من ١٠٠ مرة ليعزبنا بها، مثال ذلك ولله المثل الأعلى، عندما يضع رجال المرور لافتات على الطريق السريع قبل المطبات الفظيرة حتى لا تقع الحوادث، مثل تلك الحادثة التي مات فيها والد صديقتك رحمه الله.

وهذا الغوف ينبغي أن يجعلنا أكثر طاعة لله وإرضاء له بالإكثار من فعل الطاعات والحرص على فعل ما يبه الله من الأذكار وأعمال الخير ومساعدة الغير، فربنا زين عب ومودة وترامح وتعاون، بجانب ما فرضه الله علينا من صلاة وصوم وغيره، وأيضا الغوف من فعل المعاصي والذنوب حتى لا نكون من أهل النار أعازنا الله منها.



البنات: إذن يا أمي علينا الاستعداد جيدا لهذا اليوم حتى
ننبح في الاقتبار ونفوز برضا الله ويدرخلنا الجنة.
الأم: رزقنا الله عبه ورضاه ورجته، ولكي نفوز بذلك علينا
أن نرضى بقضاء الله أولا لأنه الإله الفائق الذي يعلم
حالنا ويعلم ما يصلح معنا، وأن نصبر ونمتسب الأجر عنده
سببانه فهو لن يظلمنا .. وهذا ما أريدك أن تقبري به
صديقتك لكي ينفخ عنها ألمها واقتدارها لأبيها، رحمه
الله.

دار الفقيه
DAR AL FAQIH
www.daralfaqih.com



مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

مبادرة سؤال هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات

Suaal.org



facebook.com/suaalorg



twitter.com/suaalorg



youtube.com/suaalorg



instagram.com/suaalorg